*مصطلح الثنائية اللغوية

د.عبد الحميد بوفاس

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة

1- كتاب اللسان العربي وإشكالية التلقي حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون :

يطلق مؤلفو الكتاب على مصطلح الثنائية اللسانية la diglossie ، وهي ما يعبّر عنها بالالتقاء الحاصل بين اللسان العربي الفصيح واللهجة أو اللهجات الدارجة. كما أنها تفرض نفسها على الواقع العربي بمختلف مقوماته، ذلك منذ فترات تاريخية طويلة. [i]

2 -كتاب مدخل إلى علم اللغة لإبراهيم خليل:

يقول إبراهيم خليل : " ثمة فرق بين الازدواجية اللغوية والثنائية bilingualism ... أمّا ثنائية اللغة أو الثنائية اللغوية فتعني وجود لغتين متنافستين في الاستعمال تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرسمية والاستعمال الرسمي مثلما نلاحظ في الجزائر حيث العربية لغة مشتركة والفرنسية كذلك ، وهما تمثلان لغتين يجيدهما المتكلمون بالقدر نفسه من الكفاية ، وهذا شيء ينسحب على أهالي كندا وقبرص واللوكسمبورغ ففيها لغتان تتنافسان ، هما: الفرنسية والألمانية ، وتتمتعان بالدرجة نفسها من القيمة ، لكن إذا دققنا في الأمر وجدنا الألمانية لا تستخدم في مجلس النواب ، وإنما التي تستخدم فيه هي الفرنسية. وفي الميدان التجاري والاقتصادي نجد الغلبة للألمانية..."[ii]

3-كتاب اللغة والتواصل التربوي ، مقاربة نفسية وتربوية، تأليف مجموعة من الباحثين:

يستعمل مؤلفو الكتاب المصطلح الأجنبي bilinguisme مقابل مصطلح ثنائية لغوية ، وهو يشير في الأدبيات اللسانية – حسب تعريف غاليسون Gualisson –إلى " وضعية لغوية يتناوب فيها متكلمون من مجموعة لغوية ما– بحسب ما تحملهم إلى ذلك المقامات التواصلية وحاجياتها وغاياتها المتفاوتة– على نظامين لغويين مختلفين وربما أكثر لنتحدّث عندها عن تعدد لغوي ."[iii]

وترد الثنائية اللغوية وفق التعريف السابق مقابل الأحادية اللغوية ، التي يغيب فيها عن الخطاب المتداول أيّ مؤشّر على حضور مستوى من مستويات لغة أجنبية غير اللغة الرسمية لمتكلم ما.[iv]

4–كتاب علم اللسان العربي للدكتور عبد الكريم مجاهد :

يفاضل الباحث بين مصطلحي الازدواجية والثنائية ، إذ يقول:" ولا يفوتني أن أذكر أنّ اصطلاح الازدواجية أكثر صلاحية من الثنائية من الناحية اللغوية ، فهي مصدر صناعي للازدواج الذي هو في اللغة التزاوج والتزويج والزواج بمعنى الاقتران، وفي المعجم الوسيط : مزدوج الثمر هو النبات الذي يحمل نوعين من الثمار مختلفي الصفات، والاقتران يقتضي إطارا مكانيا و زمانيا موحَّدا وهذا ينطبق بوضوح على اقتران الفصحى وهي لغة الكتابة وعاميتها على ساحة الوطن العربي ، وهي لغة الخطاب الشفاهي في مرحلة معينة من الزمان ".[v]

ويضيف الباحث، قائلا : " وتبقى الثنائية bilingualism مصطلحا دالا على الإجادة التامة للغتين ."[vi]

المؤلفات المعرّبة :

1– السياسة اللغوية للويس جان كالفي ترجمة محمد يحياتن:

يشير المترجم الى أنّ النصوص الأولى حول التخطيط اللغوي عنيت أساسا بالنشاط والعمل على اللغة ومن ثمّ لم تهتم بالأوضاع المتعددة اللغات plurilingues ، علما بأنها هي الغالبة في العالم .

وبناء على ما سبق يذكر المترجم بعض المحاولات في ذلك المضمار مما ظهر في الستينيات ، حيث يقول :" وأول هذه المحاولات هي دون شك مقالة شارل فرجسون حول الثنائية اللغوية diglossie . وقد اقترح فيها صاحبها نموذجا للأوضاع التي يتعايش فيها تنوعان من اللغة نفسها (وقد أورد أربعة أمثلة عنها : العربية الكلاسيكية/ العربية الدارجة، الألمانية المشتركة/ السويسرية الألمانية، الكتاريسوفة/ الديموتيكي، الفرنسية/ الكريولية الهايتية."[vii]

و التنوعات السابقة تستعمل في مقامات معينة ، نجملها – حسب تصوّر فرجسون– فيما يأتي : [viii]

- التنوع الرفيع ، ويستعمل في الخطابات السياسية والخطب الدينية ووسائل الإعلام وغيرها.
- التنوع الوضيع : ويستعمل في الأحاديث العائلية والحياة اليومية والأدب الشعبي ، وغير ذلك.

واللافت للنظر هو أنّ الباحث فيشمان وسّع النموذج السابق متخليا عن فكرة العلاقة السلالية بين التنوعين السابقين (الرفيع والوضيع) ، " إذ يعتقد أنّ هناك ثنائية لغوية كلّما ظهر توزيع وظيفي للاستعمالات بين لغتين أو شكلين من اللغة نفسها، سواء بين العربية الكلاسيكية والعربية الدارجة أو بين لغة أوروبية ولغة أو لغات إفريقية متعددة."[ix]

لقد كانت لفرجسون رؤية ثابتة للثنائية اللغوية ، باعتبارها توزيعا وظيفيا متناغما للاستعمالات ، غير أنّ هذه النظرة كانت محل نقد من طرف اللسانيين السليقيين ، أي المنبثقين عن أوضاع الثنائية اللغوية ، خاصة روبير لافون r.laffont و لامبير فليكس برودان lambert felix prudent ولويس أراشيل l.aracil ، إذ يرون

" أنّ الثنائية ليست تعايشا متناغما بين تنوعين لغويين ولكنها وضع صراعي بين لغة مهيمنة ولغة مهيمن عليها...هذا الصراع لا يمكنه إلا أن يفضي لحالتين: إمّا أن تزول اللغة المهيمن عليها لصالح اللغة المهيمنة(وهذا ما يسمى الاستبدال) أو تستعيذ وظائفها وحقوقها ، وهذا ما يدعوه (التقييس normalisation)."[x]

2- علم الاجتماع اللغوي للويس جان كالفي ترجمة محمد يحياتن:

يشير المترجم إلى أن فرجسون طرح مفهوم الثنائية la diglossie في مقال له سنة 1959 م ، "ويعني به تعايش شكلين لغويين في صلب جماعة واحدة." [xi]

ومما أضافه المترجم حول التوزيع الوظيفي للاستعمالات اللغوية (التنوع الرفيع ، التنوع الوضيع) أنّ [xii]:

- التنوع الرفيع يحظى بالصيت الاجتماعي على عكس التنوع الوضيع الذي هو خلو منه.
- التنوع الرفيع يستخدم لإنتاج أدب معترف به.
- التنوع الوضيع يكتسب بطريقة طبيعية (هو اللغة الأولى للناطقين) في حين أنّ التنوع الرفيع يكتسب في المدرسة.
- التنوع الرفيع مقعّد أيّما تقعيد (نحو ، قواميس،...).
- أوضاع الثنائية اللغوية قارة ، ويمكن أن تعمّر قرونا.
- هاذين التنوعين للغة نفسها ، مرتبطان بعلاقة قرابة ، لهما نحو ومعجم وأصوات متباينة نسبيا.

3-اللغة واللغويات لجون لوينز ترجمة محمد العناني:

يشير المؤلف في معرض حديثه عن ثنائية اللغة ، أنه "يوجد في بعض البلدان أكثر من لغة رسمية(لغتان أو أكثر) بمعنى أنّ تلك البلدان تستعمل لغتين أو أكثر كلغات رسمية، سواء أكانت هذه اللغات لغات قومية أم إقليمية."[xiii]

وينبّه على جملة من القضايا الهامة، نجملها فيما يأتي : [xiv]

1- وجود بلدان غير ثنائية اللغة أو غير متعددة اللغات إلا أنها تستخدم لغتين مختلفتين أو أكثر من اللغات المنطوقة ضمن حدودها.

2- لا ينبغي أن نفهم مما قيل أنّ البلدان التي يوجد بها لغتان رسميتان أو أكثر يفترض أنّ جميع مواطنيها يستعملون أو يعرفون أكثر من لغة واحدة.

3- وعليه فإن مفهوم ثنائية اللغة أو تعدد اللغات ينظر إليه كظاهرة موجودة في البلد الواحد سواء أكانت تلك اللغات رسمية أم خلاف ذلك.

4- لا ينبغي أن نصف مجتمعا ما أنه ثنائي اللغة إلّا إذا كان عدد كاف من أفراده هم فعلا ثنائيو اللغة.

5- إن المقصود بقولنا " فلان ثنائي اللغة ، من وجهة نظرية بحتة ، احتمال وجود ظاهرة ثنائية اللغة المثالية، بمعنى أنها تلك الظاهرة التي تدل على الإجادة التامة للغتين لا تجتمع إلا لناطق بلغة واحدة فقط.

6- إنّ ثنائية اللغة ، إن وجدت ، فهي تعتبر ظاهرة نادرة جدا، وذلك لندرة المناسبات المتاحة أمام الأفراد لاستخدام كلّ لغة في نطاق كامل ، ومنه تقل إمكانية الوصول إلى الكفاءة المطلقة في كلتا اللغتين.

7- إنّ الفكرة السابقة لا تبعد من التصوّر بلوغ أناس درجة قريبة من ثنائية اللغة المثالية ، عندما يكونون على قدر كبير من المعرفة بكلتا اللغتين ضمن نطاق واسع من المواقف.

[i]– حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون: اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص/66.

[ii]– إبراهيم خليل : مدخل إلى علم اللغة، ص/75،76.

[iii]– مجموعة من الباحثين: اللغة والتواصل التربوي ، ص/113.

[iv]– المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[v]– عبد الكريم مجاهد : علم اللسان العربي ، ص/198.

[vi]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[vii]– لويس جان كالفي : السياسات اللغوية ، تر: محمد يحياتن ، ص/31 ، 32.

[viii]– المرجع نفسه، ص/32.

[ix]– لويس جان كالفي : السياسات اللغوية ، تر: محمد يحياتن، ص/32.

[x]– المرجع نفسه، ص/26.

[xi]– لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي ، تر: محمد يحياتن ، ص/46.

[xii]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[xiii]– حون لوينز : اللغة واللغويات ، تر: محمد العناني ، ص/260.

[xiv]– المرجع نفسه، ص/261.